

القدیس انبا بھوا الکیبر
أبو القدیس انبا ییشوی

بوسونج گپیش

ملیکہ حبیب یوسف

مقدمة

يعتبر القديس أنبا بيموا من أعلام الرهبنة بقداس ورائد أساتذة التدريب الروحي ، وهو أبو القديسين أنبا يوشوى وأنبا يونس القصير . كان معاصراً للقديس أنبا مكارىوس الكبير وكثيراً ما كان يترشد بتعاليم القديس العظيم أنبا أنطونيوس في مسابلاته له - وكان الأب ايسيدوروس قدس الإسعيط بشيد بعظمت فقد روى البستان عنه أن الأب ايسيدوروس إذا أوعزت إليه الأفكار بأنه إنسان عظيم كان يجيبها قائلاً : وأعلى مثل أنبا أنطونيوس أو أصبحت مثل أنبا بيموا ، وإذ كان يقول ذلك يسترخ فكره (١) .

(١) البستان ص ٨٠ الجزء الأول .



قبطة البابا المعظم
الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطربرك الكرازة المرقسية

حياته الأولى ورهبته

كان الأب بموا (١) من مشاهير تريا (٢) ، ولد في أوائل القرن الرابع وقيل أنه كان من سخا (٣) ، كان في بدء حياته أميراً ولكنه تعلم فيما بعد إذ انخرط في سلك الرهبنة في سن مبكر جداً ، وتعبد منذ صباه في جبل تريا .

قيل أنه بعد انخراطه في الرهبنة اتفق مع أحد الإخوة على أن يعله المزامير ، وكان أول ما تعلمه من المزامير : **أنا قلت أن نخطف لسبيلي من الخطايا بلساني . . . من ٣٩** ، وحالما سمع القديس بموا هذا النص قرر ألا يتعلم شيئاً أكثر قبل أن يمارس فعلاً ما تعلمه ، وبعد مضي ستة شهور كاملة سأله معلمه : ولماذا لم تعد إلى لتواصل تعليمك المزامير ، فأجاب القديس بموا أنه كان لا يزال يجاهد في تنفيذ ما تعلمه .

كان ميالاً لسكرة الفسك والتغشف في الماء كل والمشرب والملبس . وكان يصوم إلى المساء كل يوم ، يميل للوحدة والسكون

وقد نشرنا سيرتا أبا بيشوى وأبا يؤنس القصير ولكن لم تظهر للآن بالعربية سيرة القديس العظيم أبا بموا ، وقد ذكره سنكسار الكنييسة القبطية وسنكسار ريفيه باسمه حيناً في سيرة تلميذه السابقين .

وإن كنا نكرم للإين فن الحق علينا أيضاً أن نكرم الأب ، وإن كنا نكرم التليذ فالأولى أن نكرم المعلم أيضاً كقول السيد المسيح ليس التليذ أفضل من معلمه ، وسنقتصر سيرة أبا بموا قدر الاستطاعة عن المراجع التي أمكن الاطلاع عليها .

بزنون جينيوت

+++

(١) بالأفرنجية Pambo, Pamo, Bamfou .

(٢) راجع مقدمة كتابنا «سكايوس الاسكندري» عن تريا .

(٣) سنكسار ٢٠ ب ٤ .

ويتمب في عمل اليدين . وقد ذكر الأب يبعين (١) عنه . ثلاثة
أعمال رأيناها للأب بموا . :

(١) صوم إلى المساء كل يوم .

(٢) صمت دائم .

(٣) عمل اليدين .

وذكر بستان الرهبان عنه أن وجهه كان مثل الضياء تماماً ،
كما أخذ موسى مجدأ ولمع وجهه .

كان القديس بموا يزور القديس العظيم أنبا أنطونيوس من
وقت لآخر للمنتفعة والإرشاد ، وقد ذكر البستان أن القديس
سأل أنبا أنطونيوس عما يصنع خلاصه فقال له :

+ لا تتكلم على برك :

+ لا تصنع شيئاً تندم عليه .

+ أمسك لسانك وبطنك وقلبك .

وكان القديس أنبا بمسوا من الأوائل الذين انصموا إلى
القديس أمون مؤسس أديرة نتريا وقد تدرج في السكال . وبعد
وقت قليل من رهبته أصبح مثالا كاملا للفضائل .

(١) انظر كتابنا عن هذا القديس .

رسامته قساً ورئيساً

كان الأب بموا وهو أحد زملاء القديس أمون مؤسس
الرهبنة في نتريا ممتازاً في كل فنيته وإذ ذاع صيته في القداسة
ونفضى مدة كبيرة في نتريا رسم قساً حوالي سنة ٣٤٠ م ، ولما
لمع نجمه بين الرهبان اختير أحد قادة الرهبان وكان ذلك حوالي
سنة ٣٥٠ م ، حيث دعى أنبا مكاريوس الكبير إلى نتريا لحضور
هذا الحفل . وكان القديس مكاريوس يجرى من الإسقيط إلى
جبل نتريا لزيارته .

من تعاليمه وإرشاداته

١ - كيف تقدم الصدقة

سمعت لإحدى أميرات روميه وتدعى ميلانيا الكبيرة عن
مناسة الأب بمسوا جاءت لمقابلته فاستقبلها القديس ولكنه
لم يبد شيئاً عندما رآها واستمر في حفر الحصى التي كان يعمل
فيها . حينئذ قدمت إليه وعاء فاحراً من الفضة وزن ثلاثمائة رطل
(وكان الرطل يساوي ٣٣٠ جم كما ذكر Cheneau في كتابه
Les Saints d'Egypte) .

وطلمت إليه أن يفضله ، ودون أن يتوقف القديس عن العمل

باركها قائلاً : والله يكافئك ، ثم وجهه الكلام إلى أمين صندوقه ويدعى
 « أوريجانوس » ، (١) وأمره أن يأخذ الوعاء ويبيعه ليحطى ثمنه
 للحتاجين... وكانت ميلانيا تتوقع بعض كلمات المدح أو على الأقل
 الشكر رداً على هذه الهبة العظيمة ، ولما رأت عدم اهتمام القديس
 قالت متعجبة : « يا أبى هلا » تعرف قيمة ما أعطيت ؟ قال :
 « يا ابنتى من هو الذى قدمت إليه الوعاء ؟ أهو فى حاجة لأن تقول له
 عن قيمته ؟ أليس هو الإله الذى وزن الجبال ، ويعرف قيمتها
 أكثر منا . فلو كنت قد منتهه إلى أنا الحاطط الحقيير لكان خلتينا
 بك أن تعطينى بقيمته ، ولكن إذا كنت قد قدمته لله الذى لم يحتقر
 صدقة الأرملة الفقيرة فأرجو أن تصمتى . »
 وكانت هذه أول مناجاة لزاترة الشهيرة مع رهبان نتريا .

٢ - النسك وعمل الخس

روى أنه كان إثنان من الأسجانيين هما باسيديس وأشعيا .
 قد فقدا أباهما ، وإذ ترك لهما عند موته ثروة كبيرة فقد اقتسما
 الميراث ولكسبهما كانا يترددان فى كيفية استعمال أموالهما وكانا
 (١) أوريجانوس كان تلميذاً للقديس أنطونيوس وكان من كبار
 المبشرين بهم جاء إلى نتريا وتلمذ للقديس بموا الذى جهه أميناً لصندوق
 وعاش إلى سن متقدم .

يقولان أحدهما للآخر : « أى نوع من الحياة نحبنا ؟ ، إذا دخلنا فى
 المفاوضات التجارية كأبينا فلن نتمتع بثروتنا ، وسينتفع بزيابها
 آخرون ، وعلاوة على ذلك فسنكون معرضين لأن نكون ضحية
 السرقة ، ففسكرافى حياة الرهبنة ، فالأفضل نذهب إلى الصحراء
 إذن ، وبهذه الطريقة لا نهدد ميراثنا الأبدى ولن نقصر فى شيء
 مما يختص بخلص نفوسنا ، وانتهيا إلى هذا القرار وانفقا على
 مبدأ تكريس حياتهما لله ودخل كل منهما حياة الرهبنة ، وكان
 أحدهما قد جرد نفسه من كل ماله لصالح الأديرة والكنائس
 والأعمال الخيرية ، وتعلم مهنة لكي يكسب عيشه من عمل يديه
 وفى الوقت نفسه كان يقوم بتدريبات التقشف والتقوى ، أما
 الآخر فلم يعط شيئاً ولكنه بنى ديراً وضم إليه بعض الإخوة
 وكان يستضيف كل الضيوف الذين يتقدمون إليه ، وكان يعالج
 المرضى ويأوى العجائز ويساعد الفقراء ، وفى أيام السبوت والآحاد
 كان يبسط مائدة لكل راح وغاد ، وهكذا أمضى حياته .

ومات الإثنان فى نفس الوقت تقريباً ، وتحدث رهبان نتريا
 القديسين عن أحقيتهما ومزلة كل منهما ومقامه فى الفردوس ،
 واختلفت الآراء فأرادوا أن يحسموا الخلاف وذهبوا ليحتسكوا

إلى القديس بموا فقال : ان كليهما كامل أمام الله ، فمن كان يقوم بدور ابراهيم يستضيف الزوار مثل الذى كان فى حماسة ومواظبة يشبه إيليا - ولكن كيف يمكن أن يكونا متساويين فى القداسة وقد اختارا طريقين مختلفين ؟ ، إن مجدهما واحد فى السماء ولكن أشبع شوقكم إلى المعرفة أقول لكم ان الاول إن لم يكن قد قدم باستمرار فى التشفيع والصلاة لم يكن ليتساوى بمن يصنع المحبة مع القريب ، وعلى أى حال أرجعوا بعد قليل فربما يرضى الله بأن يخبرني ببعض الشيء ، فقبل الزهبان بقلب مسرور عرض الأب ، ولما عادوا ليلتقوا رده أنباهما أنه رأهما فى الفردوس فى نفس المجد ينعمان بالسعادة فى منازل مماثلة .

٣ - المحبة أساس الفضائل

زاره إثنان من المتوحدين وأظهرا له طريقة حياتهما فقال الواحد يا أبى إبنى يومين دون أن أتناول شيئاً من الطعام ثم آكل قليلا فهل أنا فى طريق الخلاص ١٤ ، وقال له الآخر أيضاً : يا أبى إبنى أكسب قطعتين من الفضة فى اليوم من عمل يدي ، ومن هذا المكسب التشيل اشترى بجزء منه طعامى وأوزع الباقي صدقات ، فهل أستطيع بهذه الطريقة أن أخلص نفسى؟ أو أنه يجب على تغيير حياتى؟ فاستمع بموا إلى مكلميه الإثنيين وإلى آخرين كثيرين معها

وحسب عاداته لم يندفع إلى الحكم ولم يجب على أحد منهم ومضت بعض الايام وأظهر للمتوحدون الذين كانوا عازمين على السفر بعض التفانى فقال لهم تلاميذ القديس ، لستم على حق أبداً ولا تمنحوا فإن الاب لا يرد جواباً على أحد فى الحال وهذه هى عادته فهو ينتظر حتى يرشده الله ، فاذهبوا لمقابلته قبل رحيلكم فربما يرضيكم . ولما حان وقت رحيلهم ذهبوا ليطلبوا صلاة القديس فقال لهم : وهل عزمتم على السفر ؟ قالوا : نعم يا أبانا فإن لدينا ظروفاً خاصة نلزمنا ، حينئذ وضع رأسه بين يديه وكأنه يكلم نفسه فاسبأ إليه أعمالهما هما وابتدأ يفكر ثم نطق بصوت عال ... بموا اذن يصوم يومين معاً ثم يأكل قطعتين من الخبز قبل هذا يجعل منه راهباً؟ - بالنأ كيد لا . ثم رفع رأسه ونظر مكلميه الذين كانوا كلهم سمعاً وبصراً وقال : ان ما تصنعونه بالنأ كيد حسن جداً ، ولكن احفظوا فضيلة المحبة الفائقة وهى أهم الفضائل فتكلموا متكلمين من خلاصكم .

٤ - فضيلة الطاعة

وإن أنبا بموا الذى كان يرفع قدر المحبة كان حريصاً على ألا يضع الطاعة فى صف أدنى ، وفى أحد الايام بئين سبب ذلك لبعض المتوحدين من شيبيت وكانوا قد حضروا لإستشارته ، ولم يكرهوا

يرتدون سوى الجلد ، وكانت لكل منهم مقابله الخاصة وفيها كان
يشئ على القضيلة الغالبة في طبع أحد زملائه ، فبعثهم كان له
تقشف عظيم وقد تجرد تجرداً كاملاً من أشياء هذا العالم . وآخراً
كان محباً للفاية ، وثالثاً استمر عشرين سنة مطيعاً لإرشادات
التقدماء وتوجيهاتهم . عندئذ أعلن الأب بموا رأيه وقال ، هذا
هو أكثر كمالاً ، لقد اختار كل من الآخرين فضيلة وفق إرادته ،
يجاهد من أجلها ويجعلها مسيطرة على حياته ، أما هذا الإنحسح
فلقد قمع إرادته نفسه وجعل نفسه خادماً .

ومما لاشك فيه أن القديس بموا استطاع أن يكون معلماً
ماهرًا للطاعة فقد روى في سيرة تلميذه الأنبا يونس القصير
(تحت اليوم العشرين من شهر بابيه بالسنسكار) أن القديس بموا
وجد مرة عوداً يابساً فأعطاه للقديس يونس قائلاً له : وحد
هذا واسقه فأطاعه وصار يسقيه كل يوم دفتين وكان الماء بعيداً
جداً ، وبعد ثلاث سنوات نما العود وصار شجرة مشمرة . فأخذ
الشيخ من الثمرة وعرضها على الشيخ قائلاً : خذوا كلوا من
ثمرة الطاعة ، وكانت آخر وصية أوصاها لتلميذه قبل مماته أن
يسكن في المكان الذي غرس فيه الشجرة لينسذكر على الدوام
فعل الطاعة .

كذلك تتعكس طريقته هذه في التدريب على تلميذه الكبير
الآخر الأنبا ييشوى الذى ظل عاكفاً على طريقته فكان يضع
جسده في نظام حياته وقيل من أمثلة ذلك أنه كان يربط شعر
لحيته بجبل في سقف مغارته حتى لا يثقله الثعاس ، ومارس غير
ذلك مما أخذه عن معلمه مثل الفقر الاختياري فقد ذكر أنبا اسحق
عن القديس بموا أنه اعتاد أن يلبس خرقة قديمة من الملابس وحللاً
من نسيج سعف النخل (١) .

• - محبته للسكون

كان القديس يقول :

• ان الذين يعيون حياة السكون إنما يسلكون طريقاً أكثر
امتيازاً من كل الطرق التي يتبعها الإخوة ، وهذه الحياة عالية .
وكما أن روح الله أكثر علواً من الملائكة القديسين ، حسبما عرفنا
من سيرة القديس أرسانيوس مع الأخ الغريب وتصرف أنبا موسى
معه إذ كانت الملائكة يطعمونه شهد العمل ، فإن حياة التأمل في
السكون هي أكثر سمواً من الضيافة والخدمة ، وهكذا كانت سيرة
مقّي الإنجيلي أكثر سمواً من سيرة زكا العشار (٢) .

(١) E. White ص ١٤٥ .

(٢) The Paradise of the Holy Fathers ص ٢٨٧ .

دفاعه عن الإيمان الأرثوذكسي

في هذه الأثناء كان صيت القديس يموا قد تجاوز حدود الصحراء فاستدعاه البابا أنطانيوس الرسول البطريرك العشرين إلى الاسكندرية لمشاورات خاصة بينه وبين البابا بشأن مقاومة إنتشار بدعة أريوس كما فعل أنطونيوس الكبير أيضاً إذ غادر مقر نفسه إلى الاسكندرية ليدافع عن الإيمان وكما سافر الأنبا شنودة رئيس المتوحدين مع البابا كيرلس الكبير ليحضر مجمع أفسس . وهكذا في كل زمان يخرج الرهبان إلى العالم تحت الظروف القاهرة الملحة التي يتعرض فيها لإيمان الكنيسة وسلامها الأخطار .

وفي هذه الزيارة يحكي عنه أنه لما كان بالاسكندرية رأى رافضة وعندئذ انفجر بالبكاء . . . ولما سئل عن سبب بكائه أجاب : إن أمرين يحزنني كافي للبكاء أولهما خسارة تلك النفس - نفس هذه المرأة التي مات المسيح لأجلها ، وثانيهما أنه ليست لدى مثل هذه الغيرة لإرضاء الله كما تفعل هذه المرأة لإرضاء الناس .

القيادة والتدريب

قد عمل القديس يموا كثيراً ليدعم البناء الجديد - بناء الرهبنة ولبثت مجموعة من العادات التي أصبحت فيما بعد قواعد لتجاعة ،

إن المتوحد الذي يتعد عن العزاء البشري لكي يأخذ عزاء من الله مفضل . فكان الأب أرسانيوس معه روح الله ، أما الأب موسى فكانت معه الملائكة . ولاشك أن أنبا أرسانيوس مفضل بمقدار أفضلية روح الله عن أرواح الملائكة - وأما اعلام الأب موسى شهد لعل فهذا إشارة إلى خيرات الملائكة الأبدية بالنسبة لعمل الخير الذي كان يعمل مع الناس .

٦ - تأنيبه في ابداء مشورته

كان وقت المتوحد الشير مقسماً بين الصلاة والعمل اليدوي وكان لا يجب أبداً على الفور الزوار العديدين الذين كانوا يأتون ليطلبوا الإرشاد والنصح من عله وتجاربه ، واسكنته كان يظل زمناً طويلاً يفكر . والبعض كانوا ينتظرونه أسابيع وشهوراً وحسبهم ضرورياً أنه لا يطيل انتظارهم أكثر من ذلك ، وكان يقول بأنه لم يكن قد فهم استنتم بعد ، وكان يفحص بدقة طلبات ملتصبيه حتى أنهم كانوا ينظرون إلى كلماته كأنها كلمات الروح القدس الذي أرشده بها ، وكانوا في الصحراء يتفقون في الرأي على أنه في هذا المضمار فاق الكثيرين من القديسين المتوحدين .

+ + +

وإن ناصاً من تاريخ الرهبان يقول أنه ادخل نظام المساهمة بين الإخوة بمصر وبرنوج على أن يسام كل واحد منهم بأردب من الفصح كل عام لمعونة المحتاجين ، وما لاشك فيه أن مثاله وطريقه حياته كانت أبعد أراً من أية قوانين موضوعة (١) .

كان للقديس بموا طريقة خاصة في التدريب ولو أنها تبدو غريبة ولكنها كانت مملوءة بالحب . ذكر السنكسار عن تلميذه يحسن التصير أنه لما حضر وأراد أن يترهب لديه ، وغب في أن يجربه فقال : يا أبنى لا تقدر أن تقيم ها هنا ، لأن هذه البرية متعبة والساكنون فيها يقتاتون من عمل أيديهم بعد الصوم الطويل والصلاة الكثيرة وفوق ذلك يرقدون على الأرض . . . فقال له الأنبا يؤنس ، لا تردني يا أبنى من أجل الله لأنني إنما أتيت لأكون تحت طاعتك فإذا ما قبلتني فأنا أؤمن أن الرب يميل قلبك إلي ، ولما كان الأنبا بموا من عادته ألا يعمل شيئاً بتسرع واندفاع سأل السيد المسيح من أجله أن يكشف له أمره ، فظهر له ملاك الرب قائلاً له : واقبل هذا الإخ فإنه سيكون إنساناً عثاراً ، فأدخله الأب بموا وقص شعر رأسه ثم صلى

(١) من E. White ص ٥٢ وما يليها .

على ثياب الرهبنة وألبسه إياها ، فابتدأ الأنبا يؤنس بنفسك عظيم وأعمال فاضلة .

وفي بعض الأيام أراد أنبا بموا أن يجرب هذا الأب فقال له : . . . لا أستطيع السكنى معك . . . فأقام سبعة أيام خارج الباب . . . وكما قابل القديس يؤنس الأنبا بموا كان يسجد له قائلاً : . . . اخطأت ، . . . وفي اليوم السابع خرج الشيخ قاصداً الكنيسة فرأى ملاكاً يضع لأكبلا على رأس الأنبا يؤنس .

مرضه ونياحته

ذكر عن القديس أنه مرض زماناً طويلاً حيث قضى في مرضه ١٣ سنة ، وكان المرض يتزايد على الشيخ عاماً بعد الآخر ، وكان يتقبل المرض بصبر وشكر ، وكان يتوافر على خدمته تلميذه الأب القديس أنبا يحسن التصير ، وكان الشيخ يستند عليه في قيامه وورثته ، وكان يقدم له كل معونة ومساعدة في مرضه ويسدد كافة احتياجاته . . . وقيل أنه في كل هذه المدة لم يسمع منه كلمة شكر .

ولما دنت وفاة الشيخ واجتمع حوله الشيوخ أمسك بيد تلميذه وبارك عليه وسله إليهم قائلاً : هذا ملاك وليس إنسان .

نياحته

تذبح القديس الانبا بموا حوان سنة ٣٧٣ م بالغا من العمر سبعين عاماً وكانت ميلانيا الكبيرة حاضرة ساعة نياحته . كما يؤكد بلاديوس أن أوريجانوس ، أمين صندوق الدير وأمونيوس تلميذه كانا أيضاً حاضرين في تلك الساعة . وقد لحص انبا بموا أمام أخوته كل حياته في الكلمات القليلة الآتية : « إني منذ دخولي هذه البرية وبنائي القلاية ومسكني فيها ، ما انقضت على يوم واحد بدون عمل ولا أتذكر إني أكلت خبزاً من إنسان . وإلى هذه الساعة ما ندمت على لفظ واحد تفظته ، وما أنا منطلق إلى الرب كأني ما بدأت بشي . يرضيه بعد (١) » .

ولما حضرت ساعته الأخيرة قال لزميله : « خذ من يدي هذا السبت الذي أضفرت وأحفظه تذكراً لي وعندى شي . آخر أتركه لك ، وعند هذه الكلمات أغمض عيني ونكس رأسي وتذبح بسلام دون ألم مسلماً نفسه بهدوء في يدي الله وقام زميله بكل تقري بالواجبات الأخيرة ودفنه واحتفظ بالسبت الثمين إلى آخر حياته (٢) » .

(١) البستان الجزء الاول ص ١٠٢ ووردت في المراجع شينو ص ١٧٠ وهو ايت ص ٢٦ وغيرها . (٢) عن « شينو » ص ١٧٠ جزء (٢) .

القديسون باسم « بموا »

ظهر قديسون آخرون يدعون بموا . ويجب عدم الخلط بين انبا بموا (بامبو) ، وبموا الذي زار الانبا كاراس .

(الاول) انبا بموا ، بامبو ، الكبير :

وهو أبو القديسين الانبا يفتوى وانبا يوحنا القصير ، عاصر القديس مكار يوس الكبير ، وزار الانبا أنطونيوس الكبير ، أي عاش في القرن الرابع وتذبح في حياة انبا مكار يوس الكبير وهو صاحب هذه السيرة .

(الثاني) انبا بموا الذي زار الانبا كاراس :

كان في القرن الخامس ، وورد في سيرة انبا كاراس أنه كفن في لبارية إبنة الملك زيشون ، وورد في السيرة خبر نياحة انبا شنودة

رئيس المتوحدين قبل نياحة كاراس بيوم ، وأبنا شنودة تفتح
حوالي سنة ٤٥١ م - إذن أبنا بموا هذا كان في النصف الثاني
من القرن الخامس (١) .

والاب القس بموا الكبير صاحب هذه السيرة يذكر دائماً
مع القديس « بيور » خادم الله الذي نال مواهب الشفاء ، ويذكر
كأحد القسوس والآباء القديسي الكبار بمجمل فتريا ، وهو في
مصاف رؤساء البرية مثل القديس مكار يوس الكبير .

† † †

(١) شنكار وبنيه باسبه من ٦٤٤ ، وأولبري من ١٢٠ .